تفسير النسفي

(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)

تأليف

أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي

(ت ٧١٠ هـ)

حققه وخرج أحاديثه

يوسف علي بديوي

راجعه وقدم له

محيي الدين ديب مستو

الجزء الأول

دار الكلم الطيب

بيروت

الطَّبعَةُ الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الكلم الطيب
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - حلبوني - شارع مسلم البارودي - هاتف ٢٢٩٨٨٦ ص.ب ٣٠٥٥٩
بيروت. ص.ب : ١١٣/٦٣١٨

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

﴿سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لبئس شيئاً قدّموه لأنفسهم سخط الله عليهم، أي: موجب سخط الله ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ أي: في جهنم.

٨١ ـ ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إيماناً خالصاً بلا نفاق ﴿وَالنَّبِيِّ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني: القرآن ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ ما اتخذوا المشركين أولياء، يعني: أنَّ موالاةَ المشركين تدلُّ على نفاقهم ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ مستمرون في كفرهم ونفاقهم. أو: معناه: ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وبموسى وما أنزل إليه، يعني: التوراة، ما اتخذوا المشركين أولياء، كما لم يوالهم المسلمون، ولكن كثيراً منهم فاسقون، خارجون عن دينهم، فلا دين لهم أصلاً.

٨٢ ـ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ هو مفعول ثان لتجدن. و«عداوة» تمييز ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ عطف عليهم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ اللام تتعلق بعداوة ومودة. وصف اليهود بشدة الشكيمة، والنصارى بلين العريكة. وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين. ونبّه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ أي: علماء وعباداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ علل سهولة مأخذ النصارى، وقرب مودّتهم للمؤمنين؛ بأن منهم قسيسين ورهباناً، وأن فيهم تواضعاً واستكانة، واليهود على خلاف ذلك. وفيه دليلٌ على أنَّ العلمَ أنفعُ شيء، وأهداه إلى الخير، وإن كان علم القسيسين. وكذا علم الآخرة وإن كان في راهب. والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾

---

٨٣ ـ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ وصفهم برقة القلوب، وأنهم يبكون عند استماع القرآن، كما روي عن النجاشي أنه قال لجعفر بن أبي طالب ـ حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون وهم يقرؤونه عليهم ـ: هل في كتابكم ذكر مريم؟ قال جعفر: فيه سورة تُنسب إلى مريم، فقرأها إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ٣٤] وقرأ سورة طه إلى قوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩] فبكى النجاشي. وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله ﷺ، وهم سبعون رجلاً، حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا ﴿تفيض من الدمع﴾ تمتلىء من الدمع حتى تفيض؛ لأنَّ الفيضَ أن يمتلىء الإناء، أو غيره، حتى يطلع ما فيه من جوانبه. فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء، أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء، فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها، أي: تسيل من أجل البكاء. ومن في ﴿مما عرفوا﴾ لابتداء الغاية، على أن فيض الدمع ابتدأ، ونشأ من معرفة الحق، وكان من أجله. و«مِنْ» في: ﴿من الحق﴾ لتبيين الموصول الذي هو «ما عرفوا». أو: للتبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق، فأبكاهم، فكيف إذا عرفوا كله، وقرؤوا القرآن، وأحاطوا بالسنة؟! ﴿يَقُولُونَ﴾ حال من ضمير الفاعل في ﴿عرفوا﴾ ﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾ بمحمد ﷺ، والمراد: إنشاء الإيمان، والدخول فيه ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ مع أمة محمد ﷺ؛ الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك.

٨٤ ـ ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان، مع قيام موجبه، وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين. وقيل: لما رجعوا إلى قومهم لاموهم، فأجابوهم بذلك. و﴿مالنا﴾ مبتدأ وخبر. و﴿لانؤمن﴾ حال، أي: غير مؤمنين، كقولك: مالك قائماً ﴿وَمَا جَاءَنَا﴾ وبما جاءنا ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾